الباب السادس عشر
في ذكر حجارتها

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] . وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٤] .

واختلف المفسرون في هذه الحجارة ، فقالت طائفة منهم الربيع بن أنس : الحجارة هي الأصنام التي عبدت من دون الله ، واستشهد بعضهم لهذا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء:٩٨، ٩٩] .

١ ـ (١١٥) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن أبي صالح ، عن أبي بكر بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في قوله : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ ﴾ [التكوير:١] قال : « **كورت في جهنم** » ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ ﴾ [التكوير:٢] قال : « **انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا لدخلاها** » [(١)] . غريب جدًّا ، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف .

وقد روي أن الشمس والقمر يكوران في النار .

٢ ـ (١١٦) ورواه عبد العزيز بن المختار عن عبد الله ـ هو ابن فيروز الداناج ـ قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله

---

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٤٠٢ (١٩١٤١) . * وفيه : أبو بكر بن أبي مريم وقد ضعّف كما في : ميزان الاعتدال ٤/ ٤٩٧ (١٠٠٠٦).

عليه وآله وسلم قال : « **الشمس والقمر ثوران يكوران في النار يوم القيامة** » [١] .
خرجه البزار وغيره .

٣ ــ (..) وخرجه البخاري مختصرًا ولفظه : « **الشمس والقمر يكوران يوم القيامة** » [٢] .

٤ ـ (١١٧) وخرج أبو يعلى من رواية درست بن زياد عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **الشمس والقمر ثوران عقيران في النار** » [٣] . وهذا إسناد ضعيف جدًّا .

وقد قيل : إن المعنى في ذلك أن الكفار لما عبدوا الآلهة من دون الله واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه ، عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لها وإذلالا ، ونكاية لهم وإبلاغًا في حسرتهم وندامتهم ، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم التي أضلتهم . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٩] .

قال معمر عن سعيد الجريري في هذه الآيات : بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم

---

(١) أورده التبريزي في : مشكاة المصابيح ٣/ ١٥٨٥ (٥٦٩٢) ، المكتب الإسلامى . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م . تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى وقال الألباني : وإسناده صحيح ا.هـ.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر بحسبان ٤/ ١٣١ وعنده : « مكوّران » .

* **ويزيد الرقاش** : ضعيف . تقريب ٢/ ٣٦١ (٢١٩) .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ ١٤٨ (٤١١٦) . * **ودرست بن زياد** : كان منكر الحديث جدًّا ـ كما قال ابن حبان فى : المجروحين ١/ ٢٩٣ .

القيامة من قبره شفع بشيطانه فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار ، فذلك حين يقول : ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزخرف:٣٨] .

وقال أبو الأشهب عن سعيد الجريري عن عباس الجشمي : إن الكافر إذا خرج من قبره وجد عند رأسه مثل السرحة المحترقة شيطانة فتأخذ بيده فتقول : أنا قرينتك أدخل أنا وأنت جهنم ، فذلك قوله : ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ خرجهما ابن أبي حاتم وغيره . والسرحة : شجرة كبيرة .

وقد أخبر الله تعالى عن حنق الكفار على من أضلهم بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فصلت:٢٩] فإذا قرن أحدهم بمن أضله في العذاب كان أشد لعذابه ، فإن المكان المتسع يضيق على المتباغضين فكيف باقترانهما في المكان الضيق .

وأخبر الله تعالى عن اختصام الكفار مع من كان معهم من الشياطين ومن عبدوه من دون الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الشعراء:٩١-٩٩]

ومن جملة أنواع عذاب أهل النار فيها تلاعنهم وتباغضهم ، وتبرأ بعضهم من بعض ، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب . كما قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف:٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ

ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ [غافر:٤٧] ، وقال الله تعالى : ﴿ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ص:٥٩-٦٤] .

وحينئذ فلا يبعد أن يقرن كل كافر بشيطانه الذي أضله ، وبصورة من عبده من دون الله من الحجارة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبد الله بن وضاح ، حدثنا عبادة بن كليب [١] ، عن محمد بن هاشم قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] وقرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعها شاب إلى جنبه فصعق ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجره رحمة له ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم فتح عينيه فقال : بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر ؟ قال : « **أما يكفيك ما أصابك ، على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه ، وإن مع كل إنسان منهم حجرًا وشيطانا** » [٢].

وقال الحسن في موعظته : أذكرك الله ما رحمت نفسك ، فإنك قد حذرت نارًا لا تطفأ ، يهوي فيها من صار إليها ، ويتردد بين أطباقها قرين شيطان ، ولزيق حجر يتلهب في وجهه شعلها ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ .

[فاطر:٣٦]

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة : حجارة الكبريت توقد بها النار ، ويقال : إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة : سرعة الإيقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرها إذا أحميت .

قال عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] قال :

---

(١) فى الترغيب : عباءة بن كليب.

(٢) أورده السيوطي في : الدر المنثور ٦/ ٢٤٤ وعزاه لابن أبي الدنيا وابن قدامة في كتاب البكاء والرقة ا.هـ. وقال المنذري في : الترغيب والترهيب ٤/ ٤٧٤ (٥٣) .. وعباءة قال أبو حاتم : صدوق في حديثه إنكار .. ا.هـ.

هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين[١] . خرجه ابن أبي حاتم ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة:٢٤] أما الحجارة : حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار . وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة . وهكذا قال أبو جعفر وابن جريج وعمرو بن دينار وغيرهم .

٦ ـ (١١٩) وقال ابن وهب : أخبرني عبد الله بن عياش ، أخبرني عبد الله بن سليمان ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إن الأرضين بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة ، فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك . والثانية سجن الريح ، فلما أراد الله هلاك عاد أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادًا ، قال : يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر ثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى : إذن يكفي الأرض ومن** عليها ، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات:٤٢] . **والثالثة فيها حجارة جهنم . والرابعة فيها كبريت جهنم** » ، قالوا : يا رسول الله ، أللنار كبريت ؟ قال : « **نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لماعت . والخامسة فيها حيات جهنم ، وإن أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم**[٢] . **والسادسة فيها عقارب جهنم ، وإن أدنى عقربة منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حرّ جهنم . والسابعة سقر وفيها**

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦٤ (٢٤٤) ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٤ وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ا.هـ. ووافقه الذهبي .

(٢) الوضَم : ما يضع عليه الجزار اللحم من خشب ونحوه ا.هـ المعجم الوجيز صـ ٦٧٣ .

إبليس مصفد بالحديد أمامه ويده من خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء من عباده أطلقه » [(١)] . خرجه الحاكم في آخر المستدرك وقال : تفرد به أبو السمح ، وقد ذكرت عدالته بنص الإمام يحيى بن معين ، والحديث صحيح ولم يخرجاه ، وقال بعض الحفاظ المتأخرين : هو حديث منكر ، وعبد الله بن عياش القتباني ضعفه أبو داود ، وعند مسلم أنه ثقة ، ودراج كثير المناكير ، والله أعلم .

قلت : رفعه منكر جدًّا ، ولعله موقوف ، وغلط بعضهم فرفعه .

وروى عطاء بن يسار عن كعب من قوله له نحو هذا الكلام أيضًا .

٧ ـ (١٢٠) وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ ، فقال الشيخ : يا رسول الله ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **والذي نفسي بيده إن صخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها** » فوقع الشيخ مغشيًّا عليه ، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على فؤاده ، فإذا هو حي فناداه : « **قل لا إله إلا الله** » فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله ، أمن بيننا ؟ قال : « **نعم ، يقول الله تبارك وتعالى** : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ » [(٢)] [إبراهيم:١٤] . خرجه ابن أبي الدنيا .

*****

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٤ وقال ما أشار إليه المصنف ا.هـ. وتعقبه الذهبي بقوله : « بل منكر ، وعبد الله بن عياش القتباني ضعفه أبو داود وعند مسلم أنه ثقة . ودراج كثير المناكير » ا.هـ.

(٢) أورده السيوطي في : الدر المنثور ٤/ ٧٣ وعزاه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا ا.هـ. وقد عزاه ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٩١ إلى ابن أبي حاتم ، ثم قال : « هذا حديث مرسل غريب » . ا.هـ .